# الشخصية المتميزة

## أيها القارئ الكريم:

إن الإسلامَ فريدٌ بفطرته، متميز بعقيدته وشريعته.

والمسلمُ الحقُّ متميز بشخصيته، لا يقول: إنْ أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت. بل يُحسنُ دائماً وإن أساء الناس كما أمر رسول الله ﷺ « **لا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا. وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلا تَظْلِمُوا** »(١)

وفي دنيا الناس اليوم - وقد قربت المسافات، وتلاشت الحدود أمامَ الكلمة المسموعة أو الصورة المرئية - يَجْدرُ بالمسلمين أن تكون لهم شخصيتُهم المتميزة المؤثرة بخصائصها وصفاتها؛ حيث كانوا وأنّى وُجدوا.

ولن تكون لنا شخصيتُنا المتميزة ونحن نميل إلى تقليد هذا أو ذاك فيما هو مخالفٌ لأوامر ديننا. وما تعوّد الناس أن يحترموا ببّغاوات تحكي ما يقولُه الغير، أو قُروداً تمثّل ما يُطلب منها. ولكنهم مُرغمون على احترامِ الإنسان المتميز بخصائص إنسانية، وإن عادوه أو حاربوه.

إن معسكرات الكُفر والباطل تحاولُ جاهدةً - في كل زمان، ومنذ ظهور الإسلام - أن تستميلَ المسلمين إلى معتقدات باطلة وأعمال فاسدة. حاولوا ذلك حتى مع رسول الله ﷺ ولكن الله - **جَلَّ وَعَلاَ** - قد حدَّد لنبيِّه الطريق، وثبَّته عليه، وبين له السبيل، وأمره أن يستمسك بما أُوحيَ إليْه ﴿ **وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ**

---

(١) رواه الترمذي.

ٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِىَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥ ۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾ ﴾ (١)

إنها المحاولات لصرف النبي ﷺ وفتنته عن الحق الذي جاء به من عند ربه.

﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (٢)

ولولا تَثْبيتُنا إيَّاك على الحق بالعصمة لقاربت أن تميل إليهم شيئاً من الميل فيما اقترحوه عليك بقوة خداعهم وشدة احتيالهم. لكن الله - جلَّ شأنه - ثبتك تثبيتاً. فمنعك بالعصمة من أن تقارب الميل، فضلاً عن الميل نفْسِه إليهم، و « لولا » حرفٌ يدل على امتناع الجواب لوجود الشرط أي امتناع القُرْبِ من الركون لوجود التثبيت. وإذا امتنع القرب منه امتنع هو بالضرورة.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: قال: « **كان رسولُ الله ﷺ معصوماً** »

ولكنَّ هذا تعريفٌ للأمَّةِ؛ لئلا يركنَ أحَدٌ منهم إلى المشركين في شئ من أحكام الله تعالى وشرائعه.

إنه التميز والثبات الذي يستعصي على محاولات أهل الباطل واستدراجهم.

إنه تميز وثبات في العقيدة حيث يُعبَدُ اللهُ وحده، ويُستعان به دون سواه.

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ (٣)

---

(١) الإسراء : ٧٣-٧٥.

(٢) الإسراء : ٧٤.

(٣) الفاتحة : ٥.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾ [1]

وثبات في الشعائر والعبادات فأوقاتُ المؤمن تنضبط بأداء الفرائض، وتَطهر بقيامها ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ۝١٠٣ ﴾ [2]

تميز وثبات في الكفِّ عن المحرمات. فالمؤمن طاهرُ اللسان عفُّ البصر طيبُ المأكل والمشرب يجتنب ما حرَّم الله ولا يأكل إلا من الحلال الطيب.

والحلال في يده يُذكر دائماً اسمُ الله عليه؛ لأنه يَعْرف أنها نعمٌ من الله سيقت إليه، فلا يأكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه، فهو ليس بلاهٍ وغافلٍ، ولا مفتونٍ بما أنعم الله به عليه.

وتكاد محاولاتُ الفتنة وسفاهةُ التقليد تُبعدنا عن أخصِّ صفاتنا وأبرز مقوماتنا، فصُرِف كثير من المسلمين عن المساجد بشتى الوسائل والمغريات، وفي خضم التقليد الأعمى حاول البعضُ أن يُدْخِلَ على الناس أن التمسك بفرائض الدين أمرٌ شخصي لا مصلحةَ للمجتمع فيه، ولا سلطان للدولة عليه. مع أنَّ القيام بهذه الفرائض وأداءها من ألزم واجبات الدولة، بل من أخصِّ شئونها.

إن الدولة الإسلامية - حيثُ كانَتْ - مسئولةٌ عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، مسئولة عن طهر المجتمع واستقامته، ولن يطهر بغير المحافظة على الصلاة، ولن

(١) سورة الكافرون.

(٢) النساء : من الآية ١٠٣

يستقيم بغير الخضوع لدين الله. وعندما تستهين الأمةُ بهذا الواجب إنما تعرض نفْسها لهلاك محقق، وتُعينُ عدوَّها على النيل منها بإضعاف روح المقاومة في أبنائها، بل بتحطيم أسباب المنفعة والقوة فيها.

والرّسول ﷺ - وقد **كان خُلُقُهُ القُرآن** - يعلمنا أن نصون أمتنا بالأخذ على يد المفسد الذي اعتبر نفسه حرًّا يفعل ما يشاء. ولا فساد أعظمُ من ترك الفرائض ولا عَدُوَّ أخوفَ على الأمة من ذنوبها ومعاصيها « **إن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم** »

**روى البخاري عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا »** [1]

هذا ما شبَّه الصادق الأمين ﷺ أمرَنا، فإما هلاك وإما نجاة إن تركوهم وما أرادوا من إفساد - بدعوى أن هذا مكاننا نفعل ما نشاء - هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً.

إن محاولات الفتنة - في كثير من الديار الإسلامية - تحاول أن تَعْزِلَ الدين بعيداً عن شئون الحياة، وأن تجعل أمْرَه شخصيّاً يقوم به من يشاء ويتركه من يشاء، ولا لوم على تارك، ولا تثريب عليه.

---

(١) رواه البخاري.

إن ديننا هو الحياة، نَظْفَرُ بالنصر والعِزِّ إن أقمنا فرائِضَه ونفَّذنا حدوده، واتبعنا أمره، واجتنبنا نهيه. به تتحدد شخصيتنا وتتميز.

إن شخصيتنا تتميز بهذا الدين ويرتفع شأنها به ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [(١)] دينٌ ارتضاه الله لنا، ولن يقبل منا غيره، ولن ينصرَنا بدونه، إننا به أعزاءُ كرماء، وبغيره أذلاءُ ضُعَفَاء. أعزَّنا الله بالإسلام فلو ابتغينا العز في غيره أذلنا الله.

## أخي المسلم:

الدين النصيحة. ومِنْ خالص النصح أن تبصر على ضوء النور أمرَك. وأن تبحث في داخل نفسك عما يَشْغَلُك وأيْنَ يتجه هواك ؟ وبم يتعلق قلبُك؟

مقومات شخصيتك ترتبط كلُّها بالدين، فاحذر التقليد الأعمى في نفسك وأسرتك. في سلوكك ومظهرك، وما تبديه أو تُخفيه من أمرك.

إن الإغراء عملٌ دائم للشيطان وحزبه. فاحذر إغراء الشياطين، وأن تتبع غير سبيل المؤمنين فتهلك مع الهالكين. تخلقْ بأخلاق نبيك وتأدب بأدبه. واحذر أن تُضَيِّع فرائضَ الله، وأن يثبط الشيطان عَزْمَك وأنت تسمع النداء، نداء الصلاة، ونداء الخير حيث كان.

احذر أن تكون ممن يرون أنفسهم بالمال، يعتمدون عليه ويركنون إليه، ويَغْفُلُون عن الآخرة وهم في كل يوم يقتربون منها ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [(٢)]

---

(١) البقرة : ١٣٨

(٢) فصلت : من الآية ٦، والآية ٧.

**أخي المسلم:**

مقومات شخصيتك ترجع كلها إلى دينك فاحذر أن تخالفه فتظلم نفسك.

قال عمر بن عبد العزيز ﷺ: (( سنَّ رسولُ الله ﷺ وَولاَةُ الأمور من بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوةٌ على دين الله، ليس لأحد تغييرُها ولا تبديلُها، ولا النظرُ في رأي مَن خالفها. مَن اقتدى بها فهو متهد، ومَن انتصر بها منصور، وما خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولّى، وأصلاهُ جهنم وساءت مصيراً )).

اللهم اجعل هوانا تَبعاً لما جاء به نبيُّك محمدٌ ﷺ.

✿✿✿

# تتابع الأجيال

تتوافدُ الأجيالُ إلى الدنيا بإذن ربِّها ثم ترحل.

جيلٌ يتبع جيلاً، إلى أن يرث اللهُ الأرضَ ومن عليها ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١)

ولكلِّ جيل نَمطُ معيشةٍ وأُسلوبُ حياة.

وكلُّ جيل تؤثر في ثقافته شئونُ عصرِه ومعتقداتُ قومه وعاداتُهم.

ولقد امتد التأثر والتأثير مع امتداد نتائج العلم وآثارِه، ومع تلاشي الحدود والمسافات أمام الكلمة النافذةِ على موجات الأثير. ومع سرعة اتصالِ الأمم والأفراد بعضهم ببعض عَرَف الناسُ من أحوالِ بعضهم ما لم تكن معرفتُه ميسورة من قبل.

وكان لأصحاب القوة والغلبة النصيبُ الأوفى في نشر عاداتهم، وانتشار تقاليدهم بما يملكون من أسباب، من أولها حبُّ السيطرةِ، وإخضاعِ النفوس، وتحقيق المنافع.

ولقد شاء الله أن ينالَ ديارَ الإسلام ما ينَالُ غيرَها من مداولة الأيام، تبعاً لسنن الله في خلقه، ووجدت نَفْسَها - وهي تغالب فترة الضعف والتخلف - في حاجة إلى الأخذ بأسباب القوة في كل مجال. وما كان أمرُها ميسوراً وكثيرٌ من أسبابها في يد الغير. وللغير مطامعه ومذاهبُه.

---

(١) مريم : ٤٠

طغت هذه المطامع فأخذت صورةَ الاحتلالِ والإخضاع بالقوة، ثم رُئِيَ أنها من مثيرات الشعوب المستضعفة وأسبابِ نهضتها. فاستبدلت بأسلوب الإخضاع بالمذاهب والثقافة والعادات والتقاليد. وهو أسلوب أبقى على الزمن وأمكن في إحكام السيطرة ونفاذِ الكلمة. وتظل القوة تعمل عملها بالتأثير والإيحاء. والتدخل أحياناً لفرض أسلوب معين وإخضاع النفوس له.

ورأى المسلمون كيد العدو في ديارهم، وذاقوا ألواناً من هذا وذاك، من القوة الغاصبة أو الأساليب الماكرة، وعملوا جاهدين على التخلص من احتلال العدو لديارهم، وسيطرته على أوطانهم. وبقي أسلوب الإخضاع بالمذاهب والعادات والتقاليد يعمل عمله في الديار الإسلامية، وأعان عليه وسائلُ العدو المدروسة المتطورة من جانب، وافتتان بعض المسلمين بتفوق الغير، ومحاولة تقليده في كلِّ شئ حتى في العادات والسلوك من جانب آخر.

ونحن المسلمين عندما نريد أن نربِّي أبناءنا وأن نُحَافظَ عليهم، وأن نفوت على العدوِّ غَرضَه في إخضاع النفوس من داخلها وخُضوعِها لِمذاهِبه. علينا أن نتخذ من الأسباب ما يلائم عصرنا.

ففي مجال القتال حاربنا بالسيف يوم كان السيفُ وسيلةَ الحرب، ورَدَعْنا به بغي المعتدين. وحاربنا في كلِّ عصر بما يلائمُه من قوةٍ رادعة أَمرَ اللهُ بإعدادها. ونحارب اليوم بوسائلِ عصرِنا، الوسائل تتطور في أيدينا. والأمر كذلك في مجال المعرفة والثقافة.

لا بُدَّ أن تتنوع الوسائل وأن نأخذ بكل سبب صالح من أسباب العصر، شريطة أن يكون هناك إصْرَارٌ وإيمانٌ واعتزازٌ بدين الحق؛ لأننا مطالبون بأن نُحقِّق أمْرَ هذا الدين في عصرنا، وأن نجعل وسائل العصر خادمَةً لرسالتنا محققةً لأهدافنا. وإذا لم

نَشْغَلِ الناسَ بالحقِّ - الذي نؤمن به - شُغْلْنا بالضلال والباطل.

✿✿✿

ومعنا - والحمد لله - عقيدة الحقِّ ورسالةُ الصدق. عقيدةُ الفطرة الهادية التي يستجيب لها الإنسانُ بدافع من فطرته، ورسالة الصدق التي ينشدها ليومه وغده، ويرجوها لسلامه وأمنه.

ولكن كيف نربي أبناءَنا على هذه العقيدة ونجعلُهم دعاةَ الصدق لهذه الرسالة، لِيَحْيَوْا بها حيث كانوا وهم في عصمة من كل فساد، وحصانةٍ من كل وباء ؟

إن سبيلنا الوحيد في تحقيق نصرٍ لأمتنا - سواءٌ في مجال القتال أو في إبطال المذاهب الفاسدة وتأثيرها في النفوس - أن نعتصم بديننا، وأن نربي أبناءنا على فطرته، وأن يرى الناس فينا الأسوة والقدوة من أعمالنا وسلوكنا.

وعندما نأخذ أنفسنا بفطرة هذا الدين فلن يكون هناك مجال لفراغ نفسي ينفذُ إليه العدوُّ بأساليبه.

وعندما تكون وسائلُنا قاصرة في تقديم فطرة الإسلام، واعتزازِ النفوس به، وحرصِها عليه. فإننا بهذا نتركُ لوسائل العدو المناهضة أن تَغْزُوَ ديارَنا، وأن تأسِر أبناءنا في صراع لا يَعْرِفُ - بوسائل العلم - سدوداً أو حدوداً.

فنحن إذن أمام أمرين: أمَام دين نؤمن بكل ما فيه، ونعتقد اعتقاداً جازماً أنه سبيلُ الفوز والنجاة لنا وللإنسانية جميعاً. وأمام الوسائل التي نحقق بها أمْرَ هذا الدين بفطرته في نفوسنا؛ حتى نَعِزَّ به ونَدْعُوَ الناس إليه.

وعند الأخذ بالوسائل الصالحة لتحقيق فطرة الدين علينا أن نلاحظ لُغةَ عصرنا ومنطق زمننا، فأبناؤنا يعيشون في عصر يرون فيه كُلَّ ما عند الغير من عادات وتقاليد وشهوات وملذات، ووسائلُ العصر تنقل إليه كُلَّ ذلك في عُقْر داره. في بيته وحِلِّه وترحاله، فعلى وسائلنا - نحن المسلمين - أن تتحرك حركةَ العصر الذي نعيش

فيه، وأن تأخذ من نتائج العلم أسباباً لخدمة الدين.

ونحن مهتدون - بحمد الله - إلى كافة السبل، إنْ نحن جاهدنا في الله ونصرناه في أنفسنا، وصدقنا في الاعتزاز بدينه، وآثرنا رضاه على كل شيء، وأحسنَّا الأخذ بالأسباب ولم نقصر فيها ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (١)

## أخي المسلم:

ومن أولى الأسباب على الإطلاق أن نردَّ أبناء أمتنا إلى القيام بالفرائض التي أمَرَ اللهُ أن تقام. والتي لا يقوم بنيانُ الإسلام إلا عليها، والتي لا يصلح لنا شأنٌ بدونها.

وهذه تستوجب أن نعطي عناية فائقة للكلمة التي تُقال في المسجد بأنْ تكون واعيةً مبصرة مهذَّبة، تعالج قضايا العصر بالأسلوب الراشد والمنطق السديد، والكلمة الندية الوضيئة التي تحبب النفوس وتأسر القلوب.

وأن يجد الأبناء في الآباء قدوتهم فيما يقولون ويعملون. وأن يصطحب الآباءُ أبناءهم إلى المساجد، وأن يَعوِّدهم عليها ويرغبوهم . . . وأن يكون أسلوبُهم في ذلك واعياً حكيماً.

وكلُّ أخذٍ بسبب - مهما صلح - لا يحقق غايتَه ما لم يكن هناك حب صادق لله ورسوله، ويقين صادق أن ديننا هو الحياة، ولن تتحقق لنا حياة بدونه.

كل أخذ بسبب - مهما صلح - لا يحقق غايته ما لم نَصْدُق ونخضع الهوى للحق الذي آمنا به. فإذا كان كلُّ شيء من أمرنا أعزَّ علينا عرَّضنا أنفسنا للهلاك والدمار ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ

(١) العنكبوت : ٦٩

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

**أخي المسلم:**

إن نجاح وسائلنا يتوقف دائماً على مقدار إخلاصنا وصدقنا في إيثار طاعة الله ورسوله على كل شئ. وما عزَّ سلفنا الصالح وفازوا إلا باليقين الذي يُبرهن السلوكُ الطائعُ عليه ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (٢)

وما أهين من أهين وما ضل من ضل إلا بمعصية الله ورسوله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (٣)

نسأل الله أن يجعلنا وإيَّاكم ممن لا تُبْطرهُ نعْمة، ولا تُقصِّر به عن طاعته غَفْلَة، وأن يجعلنا من ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ (٤)

---

(١) التوبة : ٢٤.

(٢) النور : ٥٢

(٣) الأحزاب : ٣٦.

(٤) الزمر : ١٨.

# ساعة الشدة

تمضي حياةُ الناس بين عُسر ويُسر، وشدة ورخاء.

والمؤمن يعرف ربَّه في الأحوال كلّها. ولا يكون كغيره من الناس يدعوه في الشدة وينساه في الرخاء، ويضرع إليه عند الخطر، ويبغي الفساد في الأرض بعد النجاة.

لا شك أن ساعات الشدة والخطر دافعةٌ إلى طلب العون والتماس النجاة.

والمؤمن فيها كغيره يدعو ربَّه وينشد عونه، لكنه أثناء الكرب وبعد النجاة يظل ذاكراً لفضل ربه، شاكراً لأنعمه يَعْبُده، ولا يشرك به شيئاً.

أما الكافر فضارعٌ في الشدة، معرضٌ في الرخاء. داع عند الخطر، مُفْسدٌ بعد النجاة، وما درى أن البرَّ الذي طلب النجاة إليه يمكن أن يُخْسَفَ به، وأن البحر الذي طلب الخلاص من موجه يمكن أن يُعاد إليه. والبر والبحر - وكل شئ - خاضع لأمر الله وحده.

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (١)

(١) الإسراء: ٦٧-٦٩.

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (١)

إن المؤمن يعلم أنه يُبْتلى في الحياة ويُختَبر، فهو يُبصر العواقب، ولا تُلْهيه المقدِّماتُ عن النتائج، يقابل نعمةَ الله بالشكر، ويستعين على الشدائد بالصلاة والصبر. لا يَفْتَتنُ بزائلٍ، ولا يطمئن بمتاعٍ باطل.

والرسول ﷺ يُعرِّفنا الابتلاء في حياة الناس، ويُبين لنا الآثار والنتائج في صور عملية واقعية؛ لنكون على بصيرة من أمرنا، حتى لا نُفْتَتن بما أنعم الله به علينا.

**في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: « إنَّ ثَلاثَةً في بَني إسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى. بَدَا لله ﷻ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: الإبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا.**

(١) الشورى: ٣١- ٣٦.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: الْبَقَرُ قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلاً، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ.

فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ » (١)

---

(١) رواه البخاري.

**أخي المسلم:**

يُنْعِم اللهُ علينا بالمال والبنين، وفي الإنعام بهما ابتلاء وفتنه ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١)
إنها زينةٌ. والزينةُ لا تلبث أن تزول، والإنسان الذي يتزين بهما لن يُخلَّد أو يدوم.

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (٢)

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (٣)

خَطب عليٌّ رضي الله عنه فقال: « أما بعد. فإن الدنيا قد أدْبرتَ وآذَنَتْ بوَداع. وإنَّ الآخرةَ قد أقْبلتْ فأشرفَتْ باطّلاع، وإن المضمار اليوم وغَدًا السِّباق، ألا وإنكم في أيام أملٍ من ورائه أجل. فمن قَصَّرَ في أيام أمَلِه قبل حضور أجَلِه فقد خسر عَمَلَه. ألا فاعملوا لله في الرَّغبة كما تعملون له في الرَّهبَة. ألا وإني لم أر كالجنة نامَ طالبُها، ولا

(١) الأنفال : ٢٨.

(٢) الكهف : ٤٦.

(٣) المؤمنون : ٥٥- ٦١.

كالنار نام هاربُها. ألا وإنَّه مَنْ لم ينفعْه الحقُّ ضَرَّه الباطل، ومن لم يستقمْ به الهُدَى جَارَ به الضلال، ألا وإنكم قد أُمرتم بالظَّعْن، ودُللتم على الزاد. وإنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم اتباعُ الهوى وطولُ الأمل )).

## أخي المسلم:

في صراعنَا – نحن أبناءَ المسلمين – مع أعداء الحقِّ حيث كانوا، واجبٌ أنْ نَفْضلَ أعداءَنا – دائماً – بإيماننا وصِدق سلوكنا، (( فما لم ننتصرْ عليهم بفضلنا، لم نغلبْهم بقوتنا ))، وإيمانُنا يفرض علينا أن نقوم بحق الله في السراء والضراء، والعسر واليسر، والشدة والرخاء.

إن منطق الإيمان يأبى علينا أن نتوزع بمقاصدنا، أو نتميَّع في سلوكنا بل يفْرض علينا أن نُخضعَ كلَّ شئ من أمرنا لله الواحد الأحد، حتى نظفر بعز الدنيا وسعادة الآخرة.

فلنعرف غايتنا دائماً، ولْنَسْتَمْسك بالحق الذي أمرنا الله به؛ حتى لا نَضِلَّ أو نُضَل ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ ﴾ (١)

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور أبصارنا.

۞۞۞

(١) الإسراء : ٩.

# الصورة الفانية والحقيقة الباقية

**أيها القارئ الكريم:**

كلُّ أمرٍ من أمور الحياة له صورتُه الفانية وحقيقته الباقية.

والذين يُخْدعون بالصورة الفانية ويقفون عندها، ويرون أنفسهم بها. يخرجون من الدنيا بلا زاد. ويُفَوتون على أنفسهم فرصةَ العمل التي لا تعود، والتي يتوقف عليها جزاؤهم هناك.

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ (١)

﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (٢)

للمال صورتُه الفانية وحقيقته الباقية.

فالصورة الفانية: الزينة والمتاع. والحقيقة الباقية: تسخيره في طاعة الله وابتغاء مرضاته. الأولى تذهب وتنتهي، والثانية تبقى وتمتد ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (٣)

صورة الزينة والمتاع تنتهي عند عَتَبةِ الآخرة. وترجعُ عن الإنسان عند مفارقةِ الحياة، ولا تغني عن الإنسان شيئاً في ساعة حساب أو جزاء ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ

---

(١) الزلزلة : ٦- ٨.

(٢) الكهف : من الآية ٤٩.

(٣) الكهف : من الآية ٤٦.

سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ (١)

وعند المفارقة لا يُستَجابُ لنادم أو مستغيث يطلب العودة لكي يصحح ما فات ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (٢)

ولا تغني الزينة عن صاحبها فحسب. بل هي عبء عليه إن لم يُؤدِّ حق الله.

في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا،إلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالإِبلُ ؟ قَالَ: وَلا صَاحِبُ إِبِلٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا (٣) إلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلاً وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا

(١) الشعراء : ٢٠٥- ٢٠٧.

(٢) المؤمنون : ٩٩-١٠٠.

(٣) أي بأن تحلب حينئذ ويُسقى من ألبانها للمارة والواردين للماء.

إِلَى النَّارِ [١] قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ ؟ قَالَ: وَلا صَاحِبُ بَقَرٍ وَلا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلا جَلْحَاءُ وَلا عَضْبَاءُ [٢] تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّة وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه، فَالْخَيْلُ ؟ قَالَ: الْخَيْلُ ثَلاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ. فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلامِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ. وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّه، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّه فِي ظُهُورِهَا وَلا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ [٣] وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّه لأَهْلِ الإِسْلامِ فِي مَرْجٍ وَرَوْضَة [٤] فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوْ الرَّوْضَة مِنْ شَيْءٍ إِلا كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ، وَلا تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَات، وَلا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَات. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه، فَالْحُمُرُ ؟ قَالَ: مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الْحُمُرِ شَيْءٌ إِلاَّ هَذِهِ الآيَةَ الْفَاذَّةُ الْجَامِعَةُ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

(١) أي أن صاحبَ الإبل الذي لم يؤدِّ حقَّ الله فيها يُطْرَحُ على وجهه أو يُمَدُّ ويُبْسَطُ على الأرض في صحراء واسعة مستوية " بقاعٍ قرقر " وتأتي الإبل أوفر وأسمنَ ما كانت، لا يَفْقدُ منها فصيلاً واحداً ويلاقي منها ما قرأت من عقاب وجزاء. وهي التي كانت موطن عزِّه ومناطَ فخره.

(٢) العقصاءُ : مُلتويةُ القرنين. والجَلْحاءُ : التي لا قرنَ لها. والعضباءُ : هي المكسورة القرن. والمقصود من نفي هذه الصفات بيانُ أن قرونها في غاية السلامة والقوة لينَالَه منها ما شاء الله لَهُ أن ينال. وهي التي اطمأن إليها و لم يؤد حقَّ الله فيها.

(٣) أي : حجابٌ يَمْنَعُه عَنِ الحاجة إلى الناس

(٤) أي أرضٍ ذات نباتٍ ومَرعى

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (١)،(٢)

**أخي المسلم:**

لكل أمر من أمور الحياة صورته الفانية، وتلك هي الزينة والمتاع، وحقيقته الباقية هي الحساب والجزاء. كلُّ لذة تذهب وتبقى تبعتها إلاَّ ما كانَ في طاعة الله وابتغاء مرضاته.

وقد قرأت من كلام الله ﷻ ومن حديث الصادق الأمين رسول الله ﷺ ما يوضح لك هذه الحقيقة، فلا تحقرن من المعروف شيئاً، ولا تستخفن بكلمة السوء فإنها قد تهوي بصاحبها في جهنم سبعين خريفاً ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (٣)

ولقد كان السلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان. يأخذون من كل شئ خير ما فيه، بإيثارهم الباقيات الصالحات، وجَعْلِ هواهم تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ فتخلقوا بخُلقه، وتأدبوا بأدبه.

خطب عمرُ بنُ عبد العزيز ؓ فقال في آخر خُطْبَة له بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (( أما بعد، فإنكم لم تُخلَقُوا عبثاً، ولن تتركوا سُدىً، وإن لكم مَعَاداً يَنْزِل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحُرِمَ جنَّةً عرضُها السماواتُ والأرض، ألم تعلموا أنَّه لا يأمن غداً إلاَّ من حَذِر اليومَ وخاف،

---

(١) الزلزلة : ٧،٨.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الكهف : ٤٩.

وباع نافِداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وستكون من بعدكم للباقيات كذلك، حتى تُرَدَّ إلى خير الوارثين، ثم إنكم في كلّ يوم تشيعُون غادياً ورائحاً إلى الله، قد قضى نَحْبَه، حتى تغيبُوه في صَدْع من الأرض في بطن صدع، غير موسَّدٍ ولا مُمَهَّدٍ. قد فارق الأحباب، وباشر الترابَ، وواجهَ الحساب، فهو مرتهنٌ بعمله، غني عما ترك، فقير إلى ما قدم، فاتقوا الله قبل انقضاء مواقيته، ونزول الموت بكم. أمَا إني أقول هذا وما أعْلمُ أن أحداً عندَ أخيه من الذنوب أكثر مما عندي، فأستغفرُ الله وأتوبُ إليه )) ثم رفع طرف ردائِه على وجهه، فبكى وأبكى مَنْ حوله.

اللهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار.

✿✿✿

# الأخلاق الحسنة علاج للنفوس

أيها القارئ الكريم:

ما رأيتُ شيئاً أعظمَ لعلاج النفوس من حُسن الأخلاق.

فكم من عدوٍّ أصبح صديقاً بالإحسانِ إليه، وكم من بُغض تحوّل حُبّاً بحُسن المعاملة وجميل الصنع.

انْزَع الشر من صدر أخيك بنزعه من صدرك. وداو هَجْرَه بوصلك، وإساءته بإحسانِك، وطيِّب قلبه بالدعاء له، ومشاركته في ألمِه وفرحه، ولا تكن عَوْناً للشيطان عليه. وابذل النصح له فيما بينك وبينه.

ولا تُشَهِّر بعيبه، فتَصْرِفَه عن تقويم نفسه إلى الدفاع عنها.

إن رسالة رسولنا ﷺ قد أجملها في كلمةٍ ما أعظمها « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** »(١)

بالأخلاق النبوية الكريمة دانت النفوس للحق ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٢)

يقول عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: « بأبي أنت وأمي يا رسول الله. لقد دعا نوحٌ على قومه فقال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (٣) ولو

---

(١) مسند الشهاب القضاعي، وفي رواية : « إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق، وكمال محاسن الأفعال » الطبراني في المعجم الأوسط، وقال : لم يرو هذا الحديث عن يوسف بن محمد إلا عمر بن إبراهيم، تفرد به : صالح بن بشر.

(٢) آل عمران : من الآية ١٥٩.

(٣) نوح : من الآية ٢٦.

دعوت علينا مثلها لهلكنا عن آخرنا. فلقد وُطِئَ ظهرُك، وأُدميَ وجهك. وكُسرت رَباعيَّتُكَ، فأبيت أن تقول إلاَّ خيراً، فقلت: « **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ** » نعم، كم مِنْ مسلول عليه إلى مؤيدٍ له، ومن قوةٍ تكيد له إلى قوة تؤازره وتناصرُه.

فهذا شيبةُ الحَجْبيُّ، حاجبُ البيت، وهو والد بني شيبة حجاب البيت. كان يحدث عن سبب إسلامه قال: ما رأيت أعجبَ مما كنَّا فيه من لزوم ما مضي عليه آباؤُنا من الضلالات.

ولما كان عام الفتح، ودخل رسول الله ﷺ مكة، وسار إلى حرب هوازن قلتُ: أسير مع قريش إلى هوازنَ بحنين؛ فعسى إن اختلطوا أن أُصيبَ من محمد غِرَّةً فأقتلَه، فأكونُ أنا الذي قمتُ بثأر قريش كلِّها - وأُدرِكُ ثأري من محمد.

وكنتُ أقول: لو لم يَبْق من العرب والعجم أحدٌ إلاَّ اتبع محمَّداً ما اتَّبعتهُ. لا يزدادُ ذلك الأمرُ عندي إلا شدَّة.

فلما اختلط الناس، ونزل ﷺ عن بَغْلَته، أصْلَتُّ السيفَ ودنوتُ منه، أُريدُ الذي أُريد منه، ورفعت السيف حتى كدتُ أوقعُ به الفعل - رُفِعَ إليَّ شواظ من نار كالبرق كاد يُهْلكُني، فوضعتُ يدي على بصري؛ خوفاً عليه، وحال بيني وبينه خندق من نار، وسور من حديد، فناداني ﷺ: « **يا شيبةُ أدْنُ مني** » فدنوت منه.

فالتفت إليَّ وتبسَّم، وَعَرفَ الذي أُريدُ منه. فمسح صدري، ثم قال: « **اللهم أعِذْه من الشيطان** »، فوالله لهو كان الساعَة إذاً أحبَّ إليَّ من سمعي، وبصري، ونفسي، وأذهب الله ما كان فيَّ.

ثم قال ﷺ: « **أدنْ فقاتل** » فتقدمت أمامه أضْربُ بسيفي.

الله أعلم أني أُحبُّ أنْ أقيهَ بنفسي كل شيء، ولو كان أبي حيّاً ولقيتُه تلك الساعة لأوقعت به السيف.

فجعلتُ ألزَمُه فيمن لَزِمَهُ حتى تراجع المسلمون، وكرُّوا كرَّةً واحدة، وقُرِّبت إليه بَغْلَتُه، فاستوى عليها قائماً، وخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه.

ورجع رسول الله ﷺ إلى معسكره فدخل خباءه.

يقول شيبةُ: فدخَلْتُ عليه، ما دخَلَ عليه أحَدُ غيري. حُبّاً لرؤية وجهه وسروراً به، فقال: « **يا شيب، الذي أراد الله بك خيرٌ مما أردتَ لنفسك** »، ثم حَدَّثني بكل ما أضمرتُ في نفسي، ما لم أكن أذكرْه لأحد قط.

فقلت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ثم قلت: استغفر لي، فقال: « **غفر الله لك** »

تلك معاملته ﷺ مع من عزم الإساءة إليه وأوشك أن يوقع به، وهذه هي النتيجة إيمانٌ وحبٌ ومؤازرةٌ وتأييدٌ وصدقٌ.

لا تنس موقفه مع من أخرجوه وتآمروا على قتله عندما فتح ﷺ مكة، وظن المشركون أنه قاتلهُم. ولم لا وهم يعرفون جريرتهم وما صنعوه مع رسول الله ﷺ وصحابته من ظلم واعتداء. لكنه ﷺ جمعهم وقال لهم قولته المشهورة: « **ما تظنون أني فاعل بكم ؟** » قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: « **أقول كما قال أخي يوسف ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (١)، اذهبوا فأنتم الطلقاء** »

روى مسلم عن أنس ﷺ قال: هبط ثمانون رجلاً من التنعيم صلاةَ الصبح ليقتلوا رسول الله ﷺ بغتة فأُخذوا. فأعتقهم رسول الله ﷺ وأطلقهم فأنزل الله تعالى:

---

(١) يوسف : ٩٢.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

أخلاقُ النبوة يُرى أثرُها في كلِّ شيء، ومن **كان خُلُقُهُ القُرآن** جديرٌ أن تأتلف به القلوب بإذن الله، وأن تخضع لطاعة الله. ومن **كان خُلُقُهُ القُرآن** كان على خلقٍ عظيم، وتلك شهادة الله ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾** ﴾ (٢)

## أخي المسلم:

إننا أُمرنا أن نستمسك بأخلاق رسول الله ﷺ وأن نجعلَها نبراساً لنا في كل شئ، إنها السبيلُ الوحيد لقيام أُلفة بارة في صفوف أمتنا.

إحسانٌ إلى المسيء يحقق صفاء القلب وينزع الضغينة من النفوس. بِرٌّ بالناس يحقق الحب والموَدة. سَعْيٌ بينهم بالكلمة الطيبة تزداد الروابط وتَتَصَافح القلوب وللناس أحوال تعرض لهم، فكن حفيًّا بشئونهم. تسأل عن غائبهم، وتسلم على حاضرهم وتدع بكل خير. فقد كان رسول الله ﷺ يدعو للمسافر ويزور المريض ويقضي حاجة المحتاج.

عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أريد سفراً غداً. فقال: « **فِي حِفْظِ اللَّهِ وكَنَفِهِ، زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى، وَغَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا تَوَجَّهْتَ** » (٣)

---

(١) الفتح : ٢٤.

(٢) القلم : ٤.

(٣) رواه الدارمي.

وقد دلنا ﷺ على أسباب المودة والحبّ وأمرنا بالقيام بها.

في الحديث المتفق عليه عن البراء بن عازب – رضي الله عنهما – قال: « أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ، فَذَكَرَ: عِيَادَةَ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعَ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتَ الْعَاطِسِ، وَرَدَّ السَّلامِ، وَنَصْرَ الْمَظْلُومِ، وَإِجَابَةَ الدَّاعِي، وَإِبْرَارَ الْمُقْسِمِ » (١)

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ. أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ » (٢)

**أخي المسلم:**

استمسك بأسباب المودة؛ فإنها من أخلاق رسول الله ﷺ، وكُن في عون أخيك يكن الله في عونك، وكن في حاجته يكن الله في حاجتك. وفرج عنه كُرْبته يفرج اللهُ عنك كربة من كُرَبِ يوم القيامة، ويسِّر على المعسر أمره يُيَسِّر اللهُ عليك في الدنيا والآخرة. واعلم أن من ترك معونةَ أخيه المسلم والسعيَ معه في حاجته – قُضيتْ أوْ لم تقض – كُلِّف أن يسعى في حاجة من لا يُؤجَرُ في حاجته. واعلم بأن (( صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ )) (٣)

كان ابن عباس – رضي الله عنهما – يقول: (( صاحبُ المعروف لا يقع، فإن وقع وجد متَّكأً. واحذر أن تمنَّ بما أعطيت أو صنعت فتحبط عملك وتُبطلَ سعيك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ (٤)

قال رجل لبنيه: إذا اتخذتم عند رجل يداً فانسوها، إن المنّة تهدم الصنيع.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير.

(٤) البقرة : من الآية ٢٦٤.

أَفْسَدْتَ بِالْمَنِّ مَا أَسْدَيْتَ مَنْ حَسَنٍ لَيْس الْكَرِيمُ إِذَا أَسْدَى بِمَنَّانِ

وافعل المعروف مبتغياً به وجه ربك، وأنت واجدٌ بإذن الله السرور في نفسك وبين قومك، والجزاء عند ربك.

كان ابنُ عباس يقول: (( ما رأيت رجلاً أوليته معروفاً إلاّ أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيت رجلاً أوْليته سوءاً إلا أظلم ما بيني وبينه )).

﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ (١)

﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٢)

اللهم ارزقنا صدق الإخلاص لك، وحُسن التوجه إليك (آمين).

✿✿✿

(١) البقرة : من الآية ١٩٧.

(٢) المزمل : من الآية ٢٠.